الكلمة القرآنيّة مِن المعنى إلى التّأويل –مقاربة مصطلحيّة[1]

الطّالب: قرمودي عبد الرّحيم إشراف: أد – سيب خير الدّين

جامعة ابن خلدون، تيارت. جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان.

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى بيان دور التّأويل في تحديد دلالة الكلمة القرآنيّة، ونفي المشترك اللّفظيّ و التّرادف من القرآن الكريم، ومساندة التّأويلُ للفروقَ اللّغويّة من باب الاتّساع والتّضمين، ولنبين عدول الكلمات من معناها المعجمي الرّاجح إلى المعنى المؤول والمرجح متجاوزةً التّرادف والاشتراك اللّفظي، بمقاربة مصطلحية لكلمات من القرآن الكريم .

واتّسع مفهوم المصطلحات التّي اخترناها لبيان أثر تأويل الكلمات من باب الاتّساع والتّضمين، فمفهوم مصطلح **القسمة** اتسع من التّصيب إلى معاني غير معناها المعجمي، كالوصيّة وقسمة وتعيين ما لكلّ موصًى ما له من مقدار، وتضمّن تأويل **مصطلح الرُّوح** في الاستعمال القرآنيّ معانٍ عدّة من الجوهر النّوراني إلى القدرة الإلهيّة، وجبريل عليه السلام، وملك عظيم، وعيسى عليه السّلام، ثّم معنى الرّحمة والقرآن الكريم، كما اتّسع تأويل مصطلح الخَلق في الاستعمال القرآني، من الإنشاء والابتداء والإيجاد من العدم، إلى معنى التّخرص والعادة والكذب.

Cet article est destiné à indiquer le rôle de l'interprétation pour montrer le sens du mots du **Qur'an** el Karim, et refusé le synonyme el le homonyme ou **Qur'an el Karim**, et Pour montrer le changement de sens lexicale des mots à le sens l'interprète avec une approche terminologique les mots du **Qur'an el Karim**.

Et elle a élargi le concept des termes que nous avons choisi de montrer l'impact de l'interprétation de la porte des paroles de la largeur et l' inclusion.

Il a élargi le terme **division** de la part des significations de sens non-lexicale, comme: «la Testament, et la définition de la part de chaque héritier».

Et inclure l'interprétation le terme **âme** dans **le Qur'an el Karim**, plusieurs significations: «un Essence lumineux, Omnipotence de Dieu, archange, ange, pitié, et Qur'an el karim» .

Il a également élargi l'interprétation de terme **créature** dans le Qur'an el Karim, à établir de nulle part, au sens de l'habitude et le mensonge.

الكلمات المفتاحيّة: التّأويل- المصطلحيّة- المعنى- الانساع- التّضمين- القسمة- الرُّوح – الخَلق .

[1]- تاريخ الإيداع: 2016/05/02 تاريخ الموافقة:2016/06/30

مقدمة:

حظيت الكلمة القرآنيّة باهتمام العلماء والدّارسين قديماً وحديثاً، وتبايت الآراء ووجهات النّظر في قضية معناها سواءً عند علماء اللّغة أو علماء الأصول أو المشتغلين بعلوم القرآن الكريم، فالكلمة بصفةٍ عامة لها علاقة ائتلافٍ بالمعنى وقضاياه، وما امتازت به الكلمة القرآنية من اتساقٍ في معناها واتساعاً لدلالتها وجمالُ توقيعها في السّمع، فيها مزية لا نجدها في الكلمات المتداولة، مع أنّها نفس الكلمات، لكن توظيفها معجز متكامل، ولا تنافر فيه.

والقرآن الكريم ينتقي مِن الكلمات المترادفة والمشتركة أدقّها دلالةً، فإن أُرِيدَ استبدال كلمة بكلمة أخرى في الاستعمال القرآنيّ، فالنتيجة أنّ اللّغة كلّها أعجز مِن أن تأتي بكلمة مثلها أو أحسن منها في المعنى، من القضايا التّي أثير حولها الجدل بين القبول والرّفض، كون الكلمة تحمل معانٍ كثيرة من جهة، ومعنىً واحداً لكلمات كثيرة من جهةٍ أخرى، والإشكالية التّي نريد الإجابة عنها، هي: كيف يعدل التّأويل بالكلمة القرآنيّة من معناها الرّاجح إلى المعنى المرجوح متجاوزاً الاشتراك اللّفظي والتّرادف، وإنتاجاً للمصطلحيّة ؟

1- الاستعمال اللّغويّ للتّأويل:

تعددت معاني كلمة التّأويل في معاجم اللّغة: فهي مِن الأوّل؛ المآل، وهو العاقبة والمصير وقد أولته فآل، أي: صرفته فانصرف فكان التّأويل صرف الآية إلى ما تحمله من المعاني [1]، ومعنى قولهم ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد؟ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ [الأعراف:53]، أي تكشف عاقبته، ويقال آل الأمر إلى كذا أي: صار إليه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف:82]، وجاء التّأويل أيضاً بمعنى **التّفسير والبيان**: وفي هذا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ**

[1]- ينظر: الزّركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2006، ص:416.

﴿ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:07] [1]، فالتّأول والتّأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلاّ ببيان غير لفظه [2].

2- التّعريف الإصطلاحي للتّأويل:

ظاهرة التّأويل ظاهرة لغوية تبحث عن قصد المتكلم أو المخاطب من الخطاب، وتعمل على إيضاح المعنى وبيان مقاصده، وبالتّالي فهي محاولة بيان الحقائق الغامضة، وبنزول الوحي ظهرت الاحتمالات في دلالة القرآن الكريم لعديد من الآيات، فدعت الضرورة إلى الاجتهاد لتحقيق مراد الشّارع، فهناك مفردات ما جاءت مجازًا أو عامةً، فكان لظاهرة التأويل بيان وصرف اللّفظ من معناه المجازي إلى الحقيقي، ومن العام إلى الخاص، وهذا لا يتحقق إلاّ من خلال البرهان على المستوى النحوي أو الصرفي أو الصوتي أو الدّلالي([3]) .

ويمكن تعريف التّأويل اصطلاحاً؛ بأنّه: «صرف اللّفظ عن معناه الظّاهر إلى معنى يحتمله بما لا يخالف نصًّا من كتاب الله سبحانه ولا سنة رسول الله ﷺ، أوالتّأويل صرف اللّفظ عن المعنى الرّاجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به» [4] ، فالتّأويل صرف من الظّاهر إلى الباطن من اللّفظ، أو صرف وعدول من الرّاجح إلى المرجوح من المعنى.

ويمكن للكلمة أن تحمل معنيين ، كقوله تبارك وتعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة:07]، فيحتمل أن يكون **السّمع** معطوفا على"**ختم**" ويحتمل الوقف على"**قلوبهم**"؛ لأنّ الختم إنّما يكون على القلب، وهذا أولى لقوله تبارك وتعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الجاثية:23] ، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ [الحجر:42]، فالاستثناء منقطع لقوله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ**

---

[1]- ينظر: إبراهيم محمد الجرمي، **معجم علوم القرآن**، علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات، دار القلم، دمشق، ط1، 2001، ص:77.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيديّ، **العين**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003: (369/8)

[3]- ينظر: نضيرة بن زايد، **المعنى والتأويل في المستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي**، رسالة الماجستير في الأدب العربي، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللّغة العربية وآدبها، كليةالأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، إشراف دإسماعيل زردومي 2009-2010، ص:110.

[4]- إبراهيم محمد الجرمي، **معجم علوم القرآن، علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات**، دار القلم، دمشق، ط1، 2001، ص:78.

﴿سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:65]، ولو كان متصلا لاستثناهم فلما لم يستثنهم دلّ على أنّهم لم يدخلوا ([1])، وأمّا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:30]، فقد قيل: إنّ حياة كلّ شيء إنّما هو بالماء، وقال (ابن درستوية): وهذا غير جائز في العربيّة، لأنّه لو كان المعنى كذلك لم يكن "حيّ" مجرورا، ولكان منصوباً، وإنّما " حيّ" صفة لشيء، ومعنى الآية خلق الخلق من الماء، ويدّل له بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[النّور:46] ([2]).

وقد يكون للكلمة ظاهر وباطن، كقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة:125]، والقول أنّ ظاهره الكعبة وباطنه القلب، فقال العلماء: «ونحن نقطع أن المراد بخطاب إبراهيم الكعبة لكن العام يتجاوز إلى القلب بطريق الاعتبار عند قوم، والأولى عند الآخرين، ومن باطنه إلحاق سائر المساجد به، ومن ظاهره عند قوم العبور فيه» ([3])، فتأويل كلمة **البيت** من المعنى الظّاهر بأنّها الكعبة إلى المعنى الباطن الذّي هو القلب.

واتفق العلماء على أنّ التأويل لا يدخل دائرة المعطيات وإنّما محله دائرة الظّنيات، فهو نهج اجتهادي يحدّد المعنى المراد من النّصوص بالتخصيص أو التقييد أو التوفيق من الأدلة المتعارضة ظاهريا كل ذلك بالدّليل الشّرعيّ ضمن الفلسفة العامّة للتّشريع القائمة استنطاق معاني النّصوص تحقيقاً لمقاصد الشّارع [4]، ويمكن اعتبار الاتساع والتّضمين من أهم عناصر التّأويل:

3- 1. الاتساع أو التّوسع: يذكر الاتساع أو التّوسع في التّشبيه والاستعارة جاء ضمنا وتبعاً، وإن لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها ([5]) .

فالاتساع أن يأتي المتكلّم بكلامٍ يتّسَع التّأويل فيه بحسب ما تحمّله ألفاظه من المعاني، فيتسع الرّواة في تأويله على مقدار عقولهم ومن ذلك فواتح السّور القرآنيّة المعجمة، فإنّ العلماء قد اتسعوا في

---

[1]- ينظر: الزّركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، ص:443-444.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص:444.

[3]- الزّركشيّ، **البرهان في علوم القرآن** ، ص:444.

[4]- ينظر: عصام محمد أبو سنينة، **أثر تعليل النصوص في تأويلها وتخصيصها**، المجلة الأدبية في الدّراسات الإسلامية، الأردن، مج7، العدد3، 2011، ص: 145.

[5]- ينظر: المرجع نفسه: (78/2) .

تأويلها إتساعاً كثيراً ([1])، ومنه قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾ [النّساء:03]؛ فإنّ ظاهر هذه الآية يتوّجه عليه إشكالات، منها لِم عدل عن العدد الصحيح إلى المعدّول؟ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾، ولم يقل اثنين وثلاث وأربع، ولِمَ عطفت جملها بالواو المقتضية للجمع حتّى التبس الأمر فيها ؟ فجاء ظاهرها يدّل على إباحة الجمع بين تسع نسوةٍ، ولِمَ نزل عن الأربع لمن يخاف ألاّ يعدل بين النساء إلى الواحدة؟ ومن لا يعدل في الأربع يجوز أن يعدل في الثلاث، ومن لم يعدل في الثلاث يجوز أن يعدل في اثنتين، و ولِمَ لم يأت لفظ الواحد معدولا ليناسب ما قبله من العدد المعدول؟ ([2]).

والجواب عن الأوّل أنّ ذلك للإيجاز، لأنّ قول العرب: مثنى وثلاث ورباع يسدّ مسدّ اثنتين اثنتين وثلاث ثلاث وأربع أربع، مع التكرار، ومثنى وثلاث ورباع أخصر من الأول لأنّ المراد من الآية تعريف ما أبيح للتّاكح من الجمع بين حرائر النّساء، فعدل عن الصحيح إلى المعدول توخيًّا للإيجاز، وأمّا الجواب عن عطف الجمل(بالواو) دون(أو) فلأن الخطاب لكافة المسلمين لا للواحد منهم، فوجب العدل عن(أو) في العطف إلى(الواو) المقتضية للجمع، لأنّ الخطاب للجمع ليصيب كلّ مكلّف ما أبيح له من الجمع، ولو عطف ب(أو) لاختص الحكم بالمفرد الواحد من المكلفين، وأمّا الجواب عن النّزول من الأربع إلى الواحدة ولم ينزل عن التّرتيب إلى الثلاث ثمّ من الثّلاث إلى الاثنتين، فلقصد بناء الكلام على الاختصار، فإنّ النّزول على التّرتيب يفضي إلى الإطناب، فلأجل ذلك قال: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾، وألغى الوسائط لدلالة ما ذكره على ما ألغاه ليأتي النّظم على السّنن المحمودة من البلاغة، فإن من خاف ألا يعدل في اثنتين كان من ألا يعدل في الثلاث أخرى فضلا عن الأربع ([3]) .

والتّوسع في الكلام يكون بالعدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه، فذلك لا يكون إلاّ لطلب التّوسع في الكلام، فالتوسع في الكلام مطلوب([4]).

3. 2 - أضرب الاتساع: يمكن تقسيمه إلى قسمين، هما:

---

[1])- ينظر: ابن أبي الإصبع، **بديع القرآن الكريم**،تح: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنّشر، القاهرة، مصر، دط، دس، ص:173.

[2])- ينظر: ابن أبي الإصبع، **بديع القرآن الكريم**، ص:174.

[3])- ينظر: المرجع نفسه، ص:174-175.

[4])- ينظر: ابن الأثير، **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، علق عليه: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار النّهضة، القاهرة، مصر، دط،دس: (78/2).

الأول: على وجه الإضافة، واستعماله قبيح لبعد ما بين الإضافة والمضاف إليه؛ لأنّه يلتحق بالشّبيه المضمر الأداة، وإن كان ذلك قبيح.

والثّاني: فإنّه يرد على غير وجه الإضافة، وهو حسن لاعيب فيه؛ ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:11]، فنِسبت القول إلى السّماء والأرض من باب الاتساع لأنّهما جماد، والنّطق إنّما هو للإنسان لا للجماد، ولا مشاركة هاهنا بين المنقول والمنقول إليه([1])، وهنا من قال في هذه الآية، لم يقل الله ولم تقولا، وكيف يُخاطب من كان معدماً؟ وإنّما هذا عبارة (كونا) فكانتا، والرّد عليهم وما في نطق جهنم، ونطق السّماء والأرض من عجب، والله تبارك وتعالى ينطق الجلود والأيدي والأرجل، ويُسخِّر الجبال، والطّير بالتّسبيح ([2]).

4- التّضمين:

تضمنت معاجم اللّغة تعريفاً لغوياً للتّضمين؛ بأنّه: «جعل الشّيء في شيء آخر، وضمّن الشّيء: أودعه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر، وكل شيء أحرز في شيء ضمنه»([3])، أمّا اصطلاحاً، فيطلق على أربعةِ أشياءٍ، أحدها: إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز، وثانيها: حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه، وهذا النّوع من المجاز كذلك، وأمّا الثالث، فهو تعلّق ما بعد الفاصلة بها، والرّابع: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النّظم [(4)] .

وعرّف (الزّركشيّ) التّضمين بأنّه إعطاء الشّيء معنى شيء آخر، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف، أمّا في الأسماء: فهو أن تضمن اسماً معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعاً، كقوله عز وجل: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:105]، وتضمن"**حقيق**" معنى"**حريص**" ليفيد أنّه محقوق بقول الحق وحريص عليه[(5)] .

[1]- ينظر: ابن الأثير، **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**: (78/2).

[2]- ينظر: المرجع نفسه: (81/2) من الإحالة .

[3]- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت لبنان، دط، دس، (مادة ضمن).

4)- ينظر: السّيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تح: عبد الرّحمن الزّواوي، دار الغدّ الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 2014:(220/3).

[5]- ينظر: الزّركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، ص: 835.

أمّا في الأفعال: فأن يتضمن فعلا معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعًا، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف، فيأتي متعدّيا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به فيحتاج إمّا إلى تأويله أو تأويل الفعل، ليصح تعديه به ([1]) .

وذهب أهل اللّغة إلى أن التّوسع في الحرف، أنّه واقع موقع غيره من الحروف أولى، وذهب المحققون إلى أنّ التّوسع في الفعل وتعديته بما لا يتعدى لتضمنه معنى ما يتعدى بذلك الحرف أولى، لأنّ التّوسع في الأفعال أكثر، ومثال ذلك قوله عزّوجلّ: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾ [الإنسان:06]، فضمن "يشرب" معنى يروي لأنّه لا يتعدّى بالباء؛ فلذلك دخلت الباء وإلاّ فـ(يشرب) يتعدى بنفسه فأريد باللّفظ الشّرب والرّي معًا، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد ([2]) ، ومِن التّضمين قوله عزّوجلّ: ﴿ **فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى** ﴾ [التّازعات:18]، وإنّما يقال: هل لك في كذا ؟ لكن المعنى أدعوك إلى أن تزكى، وفي قوله عزّوجلّ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الشّورى:25]، فجاء بـ(عن) لأنّه ضمن التوبة معنى العفو والصفح، وقوله عزّوجلّ: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الأعراف:16]، قيل: الصّراط منصوب على المفعول به أي لألزمن لك صراطك أو لأملكنّه لهم، و"أقعد" وإن كان غير متعدّ ضمن معنى فعل متعدٍ[(3)]، وفي قول الله عزّوجلّ: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف:28]، قال (ابن الشجيري): "ومن زعم أنّه كان حق الكلام " **تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** " بالنّصب؛ لأنّ "**تعد**" متعد بنفسه فباطل؛ لأن عدوت وجاوزت بمعنى واحد، وأنت لا تقول: جاوز فلان عينه عن فلان ولو كانت التّلاوة بنصب العين لكان اللّفظ يتضمنها محمولاً أيضا على: لا تصرف عينك عنهم، وإذا كذلك فالذي وردت به التّلاوة من رفع العين يؤول إلى معنى النّصب فيها، إذ كان "لا تعد عيناك" بمنزلة "لا تنصرف" ومعناه لا تصرف عيناك عنهم، فالفعل مسند إلى العين، وهو في الحقيقة موجه إلى النّبي

---

[1])- ينظر: المرجع نفسه، ص: 835.

[2])- ينظر: الزّركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، ص: 836.

[3])- ينظر: الزّركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، ص:836.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1]، فضمن "**تعدّ**" معنى "**تنصرف**" فعدى "**من**" لتحمل معنى النّصح للنّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن لا تنصرف عينه عن العابدين.

5- تأويل مصطلح قسمة: تكرر هذا المصطلح في القرآن الكريم ثلاث مرات دون احتساب مشتقاته، وفي اللّغة: القسمة مصدر الاقتسام [1]، وعرّفها (ابن فارس،ت:395 ه) بقوله: «القاف والسّين والميم أصلان صحيحان: ... والنّصيب قِسم بكسر القاف»[2]، وقال (ابن منظور،ت:711 ه) هي: «نصيب الإنسان من الشّيء، فقال: قسمت الشّيء بين الشركاء، وأعطيت كلّ شريكٍ مقسمته، وقسمه وقسيمه »[3]، فالقسمة نصيب يعطى لكلّ شريك لقاء اشتراكه في الشّيء أو الأمر.

ومفهوم **القسمة** في الاستعمال القرآني على تأويلات، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ [النّساء: 08-09]، واتسع تأويل هذه الكلمة في الآية الكريمة إلى تأويلين، الأول: تأويل القسمة بالوصيّة، والمعنى: إذا حضر الوصيّة أقرباؤكم الذّين لا يرثونكم والمساكين واليتامى، فاجعلوا لهم فيها حظا، وألينوا لهم القول، ولو كان له ولد صغار خاف عليهم بعده الضيعة أن يأمر الموصى بالإسراف فيما يعطيه لليتامى والمساكين والأقارب الذّين لا يرثون، فيكون قد أمره بما لم يكن يفعله، لو كان هو الميت، وقال (قتادة) إذا حضر وصية الميت فأمره بما كنت آمراً به نفسك، وخف على ورثته ما كنت خائفاً على ضعفة أولادك لو تركتهم بعدك[4].

وتضمن التّأويل الثّاني أن تكون القسمة قسمة الورثة الميراث بعد وفاة الرّجل؛ ومتضمّن التّأويل الثّاني: إذا حضرها الأقارب واليتامى والمساكين فارضخوا لهم وعِدّوهم، وليخشى من ترك ولداً صغاراً خاف عليهم الضّيعة، فليحسن إلى من كفله من اليتامى، وليفعل بهم ما يجب أن يفعل بولده من بعده، وهو معنى قول (ابن عباس رضي الله عنه)[5].

فالأمر موجه إلى صاحب المال في الوصية التّي كانت مفروضة قبل شرع الميراث واجب عليه أن يجعل في وصيته شيئاً لمن حضر، وأنّ ذلك نسخ تبعاً لنسخ وجوب الوصيّة، وهذا تأويل قوله " **قسمة**"؛ بمعنى تعيين ما لكلّ موصٍ له مقدار [6]، «وهذا الرّضخ يستحب إذا كان الورثة كباراً، أمّا إذا كانوا صغاراً، فليس إلاّ القول المعروف، كأن يقول الوليّ، إنّي لا أملك هذا المال، إنّما لهؤلاء الضعفاء الذّين لا يعرفون ما عليهم من الحقّ، وإن كبروا فسيعرفون حقهم» [7]، فوجب تعيين مقدار القسمة لكلّ

[1]- المرجع نفسه، ص:836.

موصى في الوصيّة، وهذا أحد المعاني التّي إتسعت إليه القسمة .

وذهبت فرقة إلى أنّ المخاطب والمراد في الآية: المحتضرون الذّين يقسمون أموالهم بالوصيّة لا الورثة، رُوِي عن (ابن عباس وسعيد بن المسيب وابن زيدٍ) أنّ المريض إذا أراد أن يفرق ماله بالوصايا، وحضره من لا يرث ينبغي له ألّا يحرمه [8].

وأمّا الآية الثّانية التّي تضمنها تأويل كلمة القسمة قوله عزّ وجلّ: ﴿ **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾ [النّجم:22]، قال (القرطبي،ت: 671ه) أنّ هذه القسمة « جائرة عن العدل، خارجة عن الصّواب، مائلة عن الحقّ»[9]، وفسّر (ابن كثير،ت:774ه) **القسمة** بأن قال: «جوراً وباطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التّي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً»[10].

وثالث آية في القرآن الكريم التّي تضمنت تأويل **القسمة**، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾ [القمر: 28]، فالماء قسمت بينهم، يوم لهم ويوم للنّاقة[11]، وأخبر عن الماء بأنّه قسمة، والمراد مقسوم، فهو من الإخبار بالمصدر للتّأكيد والمبالغة [12] .

وممّا سبق تأويله لكلمة **القسمة** في القرآن الكريم، فقد اصطلح على أنّها اتسعت في مفهومها من النّصيب إلى الوصيّة وقسمة الورثة الميراث بعد الوفاة، وتعيين ما لكلّ موصٍّى ما له من مقدار، ولتتسع

---

[1])- ينظر: الشّريف الجرجاني، **التّعريفات**، وضع حواشيه وفهارسه، محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان،ط2009،3، ص: 175.

[2])- ابن فارس، **مقاييس اللّغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، سورية، دط، 1979، كتاب القاف:(86/5).

[3])- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة قسم، (12/ 478) .

[4])- ينظر: ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تح: السّيّد أحمد صقر، مكتبة التّراث للنّشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، دط، 2006 ص: 318 .

[5])- ينظر: المرجع نفسه، ص: 318 .

[6])- ينظر: الطّاهر ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، دار التونسيّة للنّشر، تونس، دط، 1984: (4/ 251) .

[7])- التّيسابويّ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تح: زكريا عمران، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1996: (356/2) .

[8])- ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، وآخرون، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006 : (84/8).

[9])- المرجع نفسه: (37/20).

[10])- ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، تح: مصطفى السّيّد وآخرون، مكتبة أولاد الشّيخ، الجيزة، مصر، دط، دس: (270/13) .

[11])- ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**: (300/13).

[12])- ينظر: الطّاهر بن عاشور، **التّحرير والتّنوير**:(200/27) - الفراء، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1983: (108/3).

كذلك إلى معنى القسمة المبالغ فيها وتأكيداً للمقسوم، لا من باب المشترك اللّفظي أو التّرادف .

6- تأويل مصطلح الرُّوح: ورد ذكر مصطلح **الرُّوح** في القرآن الكريم في ثلاثةٍ وعشرين موضعاً، والرُّوح في تعريف اللّغوين: أنّها جاءت في كلام العرب مضمومةً بمعنى التّفخ، وسمي روحاً لأنّه ريح يخرج من الرّوح، فالرُّوح رُوح الإنسان، وأمّا الرَّوحُ -بالفتح- نسيم الرّوح [1]، وقال ابن قتيبة: «الرُّوح والرَّوح والرّيح: من أصل واحدٍ اكتنفته معانٍ تقاربت، فبني لكلّ معنى اسم من ذلك الأصل، وخولف بينها في حركة البِنيَة»[2].

وفي الاستعمال القرآني لكلمة **الرّوح** تأويلاً، اتسعت لمعانٍ، هي:

فُسِّرت كلمة **الرُّوح** بجوهر نوراني لطيف أي غير مدرك بالحواس، يطلق على النفس الإنساني الذّي به حياة الإنس، ولا يطلق على ما به حياة العجاوات الّا لفظ نفسٍ، وفي هذا المعنى قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء:85][3].

واتسع مفهوم كلمة **الرُّوح** إلى قدرة الله على الخلق، ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء:91]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾[الحجر:29][4].

وأوّلت كلمة الرُّوح بمعنى جبريل عليه السّلام، ومن ذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أيضاً:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾[البقرة:87]، ومعنى (**رُوح القدس**) أنّ الرُّوح هو جبريل وسمي بهذا الاسم، وأمّا القدس فهو الله عَزَّوَجَلَّ، لأنّه بتكوين الله عزّوجلّ، وله روحاً من غير ولادةِ والدٍ[5]، وقال (حسان ابن ثابت) رضي الله عنه، مبيناً اسم (جبريل) عليه السلام:

---

[1]- ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللّغة**: (454/2)- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة قسم: (478/12).

[2]- ابن قتيبة، **مشكل تأويل القرآن**، ص:441 .

[3]- ينظر: الطّاهر بن عاشور، **التّحرير والتّنوير**:(595/1) .

[4]- ينظر: الطّاهر بن عاشور، **التّحرير والتّنوير**: (595/1) .

[5]- ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**: (244/2) .

وَجِبرِيلُ رَسُولُ اللهِ فِينَا وَرُوحُ القُدُسِ لَيسَ لَهُ كِفَاءُ [1]

وفي نفس المعنى المؤول للكلمة الذّي تضمنته آية الشّعراء، بقول الله عز وجل: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ [الشّعراء:193][2].

وتضمن تأويل كلمة **الرّوح** كذلك بملكٍ عظيم من الملائكة، وذلك في قول الله عز وجل: ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾ [النّبأ:38]، وهذا الملك يقوم وحده يوم القيامة فيقوم صفاً وتقوم كلّ الملائكة صفاً آخر[3].

وفي تأويلٍ آخر للرّوح؛ أنّه المسيح عيس بن مريم عليه السلام، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ [النّساء: 171]، وتأويله أنّه نظيف بمنزلة الرُّوح، أو سُمي بذلك لأنّه سبب حياة الأرواح أو كمالها [4]، ويجوز أن يكون سُمّي **روح الله** لأنّه بكلمته كان[5]، وفي قوله «**مِنهُ**» في الآية الكريمة أضافة إلى نفسه لأجل التّشريف والتّعظيم [6].

وبالرّحمة اتسع تأويل كلمة الرّوح، ففي قوله عز وجل: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة:22]، دلالة على الرّحمة، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ [الواقعة:89]، أراد بالرّوح الرّحمة وبالريحان الرّزق، ومن

---

[1]- حسان بن ثابت، **ديوان حسان بن ثابت**، دار الكتب العلميّة ، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ص:20

[2]- ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**: (244/2) .

[3]- ينظر: ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص: 442 .

[4]- ينظر: النّيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: (533/2) .

[5]- ينظر: ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص: 443 .

[6]- ينظر: النّيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: (533/2) .

قرأها بالفتح-رَوَح- فالمعنى الرّاحة وطيب النّسيم، وفي قوله عزّوجلّ: ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف:87]، أي من رحمة الله، سماها رُوحاً؛ لأنّ الرُّوح والرَّاحة يكونان بها [1].

وبالقرآن الكريم جاء تضمين كلمة الرّوح في الاستعمال القرآنيّ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشّورى:52]، والمعنى قرآناً من عندنا أو من عالم أمرنا كقوله تبارك وتعالى: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ** ﴾ [غافر:15][2].

وخلاصة تأويل مصطلح الرُّوح في الاستعمال القرآنيّ أنّه تضمن معانٍ عدّة ليست مترادفة ولا مشتركة، بل انتقل معناها من المعجم إلى الاصطلاح، من كونه جوهر نوراني إلى القدرة الإلهيّة، وجبريل عليه السلام، وملك عظيم، وعيسى عليه السّلام، ثّم ليتسع إلى معنى الرّحمة و يتضمن معنى القرآن الكريم.

7- تأويل مصطلح الخلق: ورد ذكر هذا المصطلح سبعاً وعشرين مرةً في القرآن الكريم، ومعناه في معاجم اللّغة: « الخاء واللّام والقاف، أصلان: أحدهما تقدير الشّيء والآخر ملامسة الشّيء، فأمّا الأول: فقولهم: خلقت الأديم للسّقاء؛ إذا قدّرته ... ومن ذلك الخَلِق؛ وهي: السّجيّة، لأنّ صاحبه قد قدِّر عليه ...، وأمّا الثّاني: فصخرة خلقا؛ أي ملساء»[3]، «والخَلق في كلام العرب: ابتداع الشّيء على مثال لم يسبق إليه، وكلّ شيء خلقه الله ، فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه... والخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التّقدير»[4]، فالتّعريف اللّغوي لكلّ من (ابن فارس و ابن منظور)، يدور حول فلك تقدير الشّيء وملاسته من جهة، وإنشائه وإبداعه من جهةٍ أخرى، وتحدث (القرطبيّ) عن الخَلق في أصل الخلق، وجهان: أحدهما: التّقدير، يقال خلقت الأديم للسّقاء؛ إذا قدّرته قبل القطع، قال شاعر:

ولأَنتَ تَفرِي مَا خَلَقتَ وَبَعـــ ضُ القَومِ يَخلُقُ ثُمَّ لَا يَفرِي

---

[1]- ينظر: ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، 443-444 .

[2]- ينظر: النّيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: (82/6)- ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**: (295/12) .

[3]- ابن فارس، **مقاييس اللّغة**: (213/2-214) .

[4]- ابن منظور، **لسان العرب**، (85/10)، مادة خلق.

والمعنى الثّاني، هو: الإنشاء والإختراع والإبداع [1].

وتكلّم (الشّريف الجرجانيّ) عن معنى الخُلُق بأن قال: «عبارة عن هيئة للنّفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية؛ فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة خلُقاً حسنا، وإن كانت العكس سميت الهيئة التّي هي المصدر خلقاً سيئاً »[2]، فقَصدُ (الشّريف الجرجاني) أنّ الخُلُق من الأخلاق الحسنة والسّيئة بحسب تعامل كلّ إنسان، والخَلقُ أن يُجمع بين ماء التّمر والزّبيب ويطبخ بأدنى طبخة، ويترك إلى أن يغلي ويشتد [3].

وتضمن تأويل كلمة الخَلق في القرآن الكريم بالإنشاء والابتداء والإيجاد، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة:21]، والخَلق أصله الإيجاد على تقديرٍ وتسويةٍ، واطلاق تسمية الخلق على إيجاد الأشياء المعدومة، إخراج للأشياء من العدم إلى الوجود، إخراجاً لا صنعت فيه للبشر؛ فإنّ إيجاد البشر بصنعتهم إنّما تصوير لها بتركيب مفرق أجزائها، كصانع الخزف[4]، «فالخلق إيجاد العوالم وأجناس الموجودات، وأنواعها، وتولّد بعضها عن بعض بما أودعت الخِلقة الإلهية فيها من نظام الإيجاد مثل تكوين الأجنّة في الحيوان في بطونها وبيضه، كلّه خلقٌ، وهو من تكوين الله تعالى ولا عبرة بما قد يقارن بعض ذلك الإيجاد من علاجٍ، كالتّزويج وإلقاء الحَبّ والنّوى في الأرض للإنبات»[5]، فالخلق إيجادٌ من العدم، وهي خاصة بالقدرة الإلهية لا غير، وفي قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:29]، فتضمن الخلق معنى: أوجد بعد العدم، وقد يقال في الإنسان خلق عند إنشائه شيئاً، ومنه قول الشّاعر:

مَن كَانَ يَخلُقُ مَا يَقُو لُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةُ [6].

ومن إتساع تأويل كلمة الخلق **التّصوير**، ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿... **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ**

---

[1]- ينظر: القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**: (341/1) .

[2]- الشّريف الجرجاني، **التّعريفات**، ص:105 .

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص:105 .

[4]- ينظر: الطّاهر بن عاشور، **التّحرير والتّنوير**: (327/1) .

[5]- المرجع نفسه: (327/1) .

[6]- القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**: (376/1) .

كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة:110]، أي تصوِّرُه[1]، فالمعنى هنا: تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطّير بتسهيلي ويسري، لا على أن يكون للخلق صادراً عنه عليه السّلام، بل على أن يُظهر ذلك على يديه عليه السّلام عند مباشرة الأسباب مع كون الخَلقِ حقيقة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ كما يبيّن عنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **فَتَنْفُخُ فِيهَا** ﴾؛ أي في الهيئة المصوّرة، فتكون على تلك الهيئة[2].

ومن اتّساع معنى **الخلق** أيضاً، أُوِّلَ بمعنى التّخرص والعادة والكذب، ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [الشّعراء:137]، «أي عادتهم أنّهم كانوا يلفقون مثله، ويسطِّرُنه أو ما هذا الّذي نحن عليه ما نحن عليه من الدّين إلّا خلق الأولين وعادتهم، ونحن بهم لمقتدون، وقُرِأ **خلق الأولين** بفتح الخاء على اختلاف الأولين كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلّا خلقهم نحيا»[3]، فخلق الأولين عادتهم، واختلفت القراءة القرآنيّة، فتضمن هذا الاختلاف معنيين، بين العادة والدّين وإن أقتربا في المعنى، وقال (القرطبيّ) في تفسيره للآية الكريمة: «أي دينهم وعادة الأولين، وقرأ (ابن كثيرٍ وأبو عمرو والكسائي): (**خَلْقُ الأولين**) والباقون (**خُلُقُ الأولين**) قال **الهرويّ** في قوله عزّ وجلّ ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**﴾؛ أي اختلافهم وكذبهم»[4]، وأمّا تأويل قوله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت:17]، والمعنى أنّكم تكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة، وتدّعون أنّها شفعاؤكم عند الله، أو تعملونها فتنحتونها للإفك، وقُرِئَ **تَخْلِقُونَ** بالتّشديد للتّكثير في الخلق بمعنى شدّة الكذب والإفتراء[5].

وعليه، اتّسع تأويل مصطلح الخَلق في القرآن الكريم، من الإنشاء والابتداء والإيجاد من العدم، وهذا من قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إلى معنى التّخرص والعادة والكذب بما يتناسب مع السّياق الّذي

---

[1]- ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص: 459 .

[2]- ينظر: أبي السّعود محمّد بن محمّد العماديّ، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، دط، دس: (95/3) .

[3]- المرجع نفسه: (257/6) .

[4]- القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**: (59/16).

[5]- ينظر: أبي السّعود العماديّ، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم**: (34/7).

ورد فيه هذا المصطلح، وهذا لا يعني كونها من المشترك اللّفظي، وإنّما تأويلات خاصّة في السّياق القرآني واصطلاحه .

خاتمة:

خَلُصت مقاربتنا المصطلحية للكلمة القرآنية من المعنى إلى التّأويل، إلى أهم النّتائج التّالية:

صُرفت الكلمات من ظاهرها إلى المعنى الباطن بحسب السّياق الّذي وردت فيه، فكان العدول من المعنى المعجمي الرّاجح إلى المعنى المؤول والمرجح، وكان ذلك من خلال الاتساع الدّلالي، متجاوزاً بذلك اللّفظ المفرد الدّال بالوضع على معنى غيره، من باب الاتساع لا التّرادف والاشتراك اللّفظيّ، فالوضعُ اتفاق بين قبائل العرب في نطق المفردات وترادفها، لكن الاستعمال القرآني تجاوز هذا الوضع إلى سياقٍ خاص.

واتّسع مفهوم المصطلحات التّي اخترناها لبيان أثر تأويل الكلمات من باب الاتساع والتّضمين:

فمفهوم مصطلح **القسمة** اتّسع من التّصيب إلى معاني غير معناها المعجمي، كالوصيّة وقسمة الورثة الميراث بعد الوفاة من جهة، وتعيين ما لكلّ موصًى ما له من مقدار من جهة أخرى من خلال الآيات الكريمة التّي تضمنت هذا المعنى، ولتتسع كذلك إلى معنى القسمة المبالغ فيها وتأكيداً للمقسوم.

وتضمن تأويل **مصطلح الرُّوح** في الاستعمال القرآنيّ معانٍ عدّة من كونه جوهر نوراني إلى القدرة الإلهيّة، و اتسع مفهومها إلى تسمية الرُّوح (بجبريل) عليه السلام، وملك عظيم، وتضمن أيضاً في السّياق القرآني معنى (عيسى) عليه السّلام، ثمّ ليتسع إلى معنى الرّحمة وتضمنه معنى القرآن الكريم من خلال تتبع المعنى القرآني الذي وردت فيه هذه الكلمات.

واتسع تأويل مصطلح الخَلق في الاستعمال القرآني، من الإنشاء والابتداء والإيجاد من العدم، إلى معنى التّخرص والعادة والكذب في عدة مواضع من القرآن الكريم.

وبذلك ساعد التّأويل - من بابيه الاتّساع والتّضمين- الفروق اللّغوية في تحديد الدّلالة المصطلحية التّي جاءت بها كلمات القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1) إبراهيم محمّد الجرميّ، **معجم علوم القرآن**، علوم القرآن، التفسير، التّجويد، القراءات، دار القلم، دمشق،سورية، ط1، 2001.

2) ابن أبي الإصبع، **بديع القرآن الكريم**، ،تح: حنفي محمّد شرف، نهضة مصر للطباعة والنّشر، القاهرة، مصر، دط، دس.

3) ابن الأثير، **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، علق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النّهضة، القاهرة، مصر، دط،دس.
4) ابن الجوزي، **نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر**، تح: محمّد عبد الكريم كاظم الرّاضي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1987.
5) ابن فارس، **مقاييس اللّغة**، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، دمشق، سورية، دط، 1979.
6) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تح: السّيّد أحمد صقر، مكتبة التّراث للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2006 .
7) ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، تح: مصطفى السّيّد وآخرون، مكتبة أولاد الشّيخ، الجيزة، مصر، دط، دس.
8) ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دس.
9) أبي السّعود محمّد بن محمّد العماديّ، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، دط، دس .
10) حاكم مالك لعيبي، **التّرادف في اللّغة**، دار الحريّة للطباعة، بغداد، العراق، دط، 1980.
11) حسان بن ثابت، **ديوان حسان بن ثابت**، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط3، 1994.
12) الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .
13) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2006.
14) سيبويه، **الكتاب**، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 2014.
15) السّيوطيّ:
أ- **الإتقان في علوم القرآن**، تح: عبد الرّحمن الزّواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 2014.
ب-**المزهر في اللّغة**، تح: محمّد أحمد جاد المولى بك، وآخرون، مكتبة دار التّراث، القاهرة، مصر، ط3، دس.
16) الشّريف الجرجاني، **التّعريفات**، وضع حواشيه وفهارسه، محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان،ط3، 2009 .
17) الطّاهر ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، دار التونسيّة للنّشر، تونس، دط، 1984.
18) عصام محمد أبو سنينة، **أثر تعليل النّصوص في تأويلها وتخصيصها**، المجلة الأدبية في الدّراسات الإسلامية، الأردن، مج7، العدد3، 2011.
19) الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، دار العلوم الحديثة، لبنان، دط، دس.

20) الفراء، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
21) القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، وآخرون، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006 .
22) نضيرة بن زايد، **المعنى والتأويل في المستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي**، رسالة الماجستير في الأدب العربي، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللّغة العربية وآدبها، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، إشراف: د.إسماعيل زردومي 2009-2010.
23) النّيسابوريّ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تح: زكريا عمران، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1996.